﴿وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَالُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِۖ وَمَا يَعۡقِلُهَآ إِلَّا ٱلۡعَٰلِمُونَ ٤٣﴾

[العنكبوت: 43]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

الأمثالُ مضروبةٌ للنّاس، لا ينتفعُ بها إلا صفوتُهم

لمّا أفرد السّياقَ السّابق وخصّه بضربِ المثَلِ العنكبوتيّ، بيّن هنا في هذه الآية أنّ ضربَ الأمثال هو عادةُ القرآن، ومن عموميّات خطابِه لجميعِ النّاس؛ فمن عَلِمَ منهم انتفعَ وعقلَ، ومَن ركِب الجهلَ والهوى، أبْعَدَ نفسَه عن مقصودِ تلك الأمثال ومنفعتِها له بالهداية والاستقامة وتقريرِ الحقيقة، فجانَبَه ذلك وباعَدَ عنه.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿ٱلۡأَمۡثَالُ﴾: (مثل) أصلٌ يَدُلُّ على مُناظرَةِ الشَّيءِ لِلشَّيءِ، وهَذا مِثْلُ هَذا، أيْ: نَظيرُهُ، والمِثْلُ والمِثالُ في مَعْنًى واحِدٍ، ورُبَّما قالوا: مَثيلٌ كَشَبيهٍ[1]، والمراد هنا: النَّظائر المتشابهةُ في أحوالها العجيبةِ ووقائعِها الغريبة، وهي الأمثالُ المضروبةُ في القرآن الّتي منها هذا المثلُ بالعنكبوت[2].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

الأمثالُ تقريبٌ للمعقولِ بالقياسِ على المحسوس

هذا المَثَلُ ونظائرُه من الأمثال الّتي اشتملَ عليها الكتابُ العزيز - نجعلها للناس ونوردُها عليهم - تقريبًا لِما بَعُد من أفهامهم، وإيضاحًا لما أشكلَ عليهم أمرُه، واستعصى عليهم حُكْمُه، وما يَفهَمُ مغزاها، ويعرفُ تأثيرَها، واستتباعَها لكثيرٍ من الفوائدِ إلا الرّاسخون في العِلم، المتدبّرونَ في عواقبِ الأمور ومقاصدِها[3].

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (مثل).
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 20/ 256.
(3) المَراغيّ، تفسير القرآن: 20/ 144.

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

دلالة العطف:

تقريرُ الاتّساع والتّعميم في إقامة الحجّة على عموم الخلْق

جملةُ ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا﴾ معطوفةٌ على جملة: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ﴾[1]، فجَمَع بالعطف بـ(الواو) بين الخاصِّ والعامِّ، فمَثَل العنكبوت - خاصٌّ، وقوله: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا﴾ - عامٌّ، وذلك كما يقول القائلُ: زرتُ شيخَ القرّاء، ثمّ يقولُ: ولي زياراتٌ لطائفةٍ من علماء القراءة الآخرين كذلك، فخصّصَ ثمّ عمَّم؛ لكونِ العامّ يُقرِّر فائدةً زائدةً على ما في الخاصّ، والفائدةُ هنا: تقريرُ الاتّساع في إقامةِ الحجّة على عمومِ الخلْق، بعدَ إقامتها بالمَثَل العنكبوتيّ على خصوصِ المشركين.

نكتةُ الإشارة بالبعيد، وعلاقتُه بجمع ﴿ٱلْأَمْثَٰلُ﴾:

مضامينُ الكتاب العزيز وإنْ كانت متناثرةً متباعدةً إلا أنّها دانيةُ المأْخَذ

(تلك) في قوله: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا﴾ اسمُ إشارةٍ للبعيد؛ لأنّه قصدَ نظائرَ هذا المثَلِ العنكبوتيّ البعيدةَ عنه في مواقعِ التّلاوة، فالمرادُ بـ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ﴾ أي: عمومُ الأمثالِ المضروبةِ في كتاب الله سبحانه، ويدخلُ فيها هذا المَثَلُ العنكبوتيّ ويندرجُ فيها، ولذلك جمعَ لفظَ ﴿ٱلْأَمْثَٰلُ﴾ لأنّه أراد العمومَ مع الدّلالةِ على الكثرةِ والتّعدّد، فإنْ قيل: هذا المثلُ في قوله: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا﴾ قريبٌ وليس بعيدًا، فكيف يدخلُ مع البعيد؟ والجواب: أنّه داخلٌ فيها من وجهين؛ **الوجه الأوّل:** بطريق تغليبِ سائر الأمثال عليه، فلمّا كان سائرُ الأمثال بعيدًا عن سياق هذا المثل في مواقع التّلاوة، وكانت كثيرةً متعدّدة، غَلَبَ حكمُ الكثير على الفرْد القليل، فاندرجَ فيه، فكان التّعبير جاريًا على حكْم الكثير، **الوجه الثّاني:** أنّه حُقَّ لهذا المثل، ولغيره من سائر الأمثال أنْ يُشارَ إليه وإليها بالبعيد؛ لِبُعدِها ولِعُلوّها في المنزلة والرّتبة، فتكونُ

(1) الخطيب، التّفصيل في إعراب التّنزيل: 20/ 276.

الإشارة بالبعيد إلى المَثَل العنكبوتيّ إشارةً إلى بُعدِه وعلوّه في القَدْرِ والقيمة؛ ولذلك جعلَ تلك الأمثالَ عزيزةً في إدْراكِها، فلا يُحرِزُها إلّا العالِمون، وعليه: فالبُعد في المُشار إليه مجازيّ، ويؤيّدُه أنّه أشار لعمومِ الكتاب بالبعيد في قوله: ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ﴾ [البقرة: 2][1].

معنى (أل) في كلمة ﴿ٱلۡأَمۡثَٰلُ﴾:

(أل) في ﴿ٱلۡأَمۡثَٰلُ﴾ في قوله: ﴿وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا﴾، للعهد الحضوريِّ بعدَ اسم الإشارة، أي: تلك الأمثالُ الحاضرةُ بنزولها في الكتاب وقتَ الخطاب بهذه الآية: ﴿وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ﴾[2].

موقعُ جملة: ﴿نَضۡرِبُهَا﴾ ممّا قبلَها:

تقريب المخاطبين من الهدى وتقريبه إليهم

جملةُ: ﴿نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِۖ﴾ إمّا خبرٌ عن اسم الإشارة، فلا يوقَفُ على جملة ﴿وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ﴾ دونَها، وإمّا أن تكون جملة: ﴿وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ﴾ تامّةً؛ لتعظيم الأمثال، ثمَّ استأنف بقوله: ﴿نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِۖ﴾، أي: نجعلُها لهم؛ لِنقَرِّبهم بها من الهدى، ونقرّب بها الهدى إليهم، وعلى هذا تكونُ جملة: ﴿نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِۖ﴾ استئنافًا بيانيًّا، كأنّه لمّا قال: ﴿وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ﴾ لها ما لها من العظمة والمكانة - سألَ سائلٌ: لأيّةِ غايةٍ كانت؟ فأجيبَ: ﴿نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِۖ﴾[3]، فالفصلُ بينهما لشبهِ كمالِ الاتصال.

نكتةُ الالتفات من ضمائر الغَيبة إلى التّكلّم:

ممّا تقتضيه بلاغة البيان تغييرٌ في أسلوب التّعبير

الالتفاتُ من ضمائر الغَيبة في قوله: ﴿يَعۡلَمُ﴾، ﴿مِن دُونِهِۦ﴾، ﴿وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ﴾ إلى ضمير العظمةِ المتكلّم في قوله: ﴿نَضۡرِبُهَا﴾؛ لانتقالِ السّياق من الإخبار عن خصوص المشركين، إلى عمومِ النّاس، والعمومُ في النّاس مع جمعِ الأمثال يقتضي سَوْقَ الضّمير

(1) الشّهاب، عناية القاضي وكفاية الراضي: 7/ 103.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 20/ 256.
(3) البِقاعيّ، نَظْمُ الدُّرَر: 14/ 444، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 20/ 256.

على جهة التّعظيم في: ﴿نَضۡرِبُهَا﴾؛ والتّعظيمُ لا يتأتّى إلا بضمير التّكلّم، ولذلك التفتَ إليه.

بلاغةُ المجاز في ضَرْبِ الأمثال:

الأمثالُ جوامعُ من الكَلِم تقرَعُ المسامِعَ لحلاوتها وفرادتِها

في التّعبير عن الأمثال بالضّرب في قوله: ﴿وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا﴾ استعارةٌ تصريحيّة تَبَعيّة، حيثُ شبّه إيرادَ الأمثالِ في قَرْعِها لِسامِعِهم وطَرْقِها لأذهانهم، باليد الضّاربةِ على الشّيء أوْ البدن، بجامعِ الوقْع والمساسِ في كلٍّ، وهو من تشبيه المعقولِ بالمحسوس، وتنزيلِه منزلَتَه، وهو يشيرُ إلى نكتةِ التّعبير بـ(الضّرْب)؛ تقريرًا لمكانةِ الأمثال في قَرْعِها وقوّتها وصلاحيّتها للتّمكّن من العقولِ والنّفوس.

معنى اللّام الجارّة في: ﴿لِلنَّاسِۖ﴾:

(اللّام الجارّة) في قوله: ﴿نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِۖ﴾ للتّخصيصِ والأجْل، أي: لأجْل النّاس، والكلامُ على حذف مضافٍ، أي: لأجلِ هداية النّاس ونفعهم.

معنى (أل) المُعرِّفة:

المعنيّون بالخطاب هُمُ المُستوفونَ لأهليّة إدراكِهِ

(أل) المُعرِّفة في قوله: ﴿نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِۖ﴾؛ للاستغراق، أي: نضربُها لكلّ النّاس، والاستغراق إمّا عامٌّ شاملٌ لكلِّ مَن يسمعُ الخطابَ، أوْ عرفيّ؛ لأنّه يريدُ المكلّفينَ من النّاس، أوْ مَن هم أهلٌ لتمييز الخطاب وإدراكه، ويرشّح إرادةَ الاستغراق التّخصيصُ الآتي بقوله: ﴿وَمَا يَعۡقِلُهَآ إِلَّا ٱلۡعَٰلِمُونَ﴾ فيكونُ تخصيصًا بعدَ تعميم، ويحتملُ أنْ تكون (أل) للجنس، أي: نضربها لمنْ يصدقُ عليهم أنَّهم ناسٌ وعقلاءُ يفهمونَ قيمةَ المثل ويدركونَه، وأما مَن ليس متّصفًا بهذه الحقيقة فهو وإنْ كان إنسانًا لكنه غيرُ مقصودٍ لعدمِ انتفاعه بمضمونِ المثل وفكرته ومغزاه، ويرشّحُه أيضًا قولُه: ﴿وَمَا يَعۡقِلُهَآ إِلَّا ٱلۡعَٰلِمُونَ﴾ فيكون تقريرًا له وتثبيتًا.

معنى (الواو) في قوله ﴿وَمَا يَعْقِلُهَآ﴾:

جملة ﴿وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾ معطوفةٌ على جملة: ﴿نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ﴾، من باب عطف الخاصِّ على العامّ؛ لبيانِ الفئة المخصوصةِ في النّاس بالاستفادةِ والانتفاعِ من تلك الأمثال، فقوله: ﴿ٱلْعَٰلِمُونَ﴾ اصطفاءٌ مخصوصٌ من العموم في قوله: ﴿نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ﴾ على إرادةِ الاستغراق، أوْ تقريرٌ وتأكيدٌ له على إرادة الجنسِ كما تقدم.

التّعقّلُ لازمةٌ إنسانيّةٌ تنمو وتتجدّدُ وتتطوّر

دلالةُ النَّفي بـ(ما):

النَّفيُ بـ(ما) في قوله سبحانه: ﴿وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾؛ للاستمرار، أي: يستمرّ حدوثُ تعقّلِ الأمثال ما صادفتْ أهلَ الرّسوخ في العِلم[1].

بلاغةُ الاستثناء المفرّغ:

الاستثناءُ معَ النّفي في قوله: ﴿وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾ استثناءٌ مفرّغٌ، فيفيدُ الاختصاصَ والحصر، أي: ما يَعقِلُ الأمثالَ أحدٌ من النّاس إلا أولو العِلم، وقيمةُ هذا الاستثناء ظاهرةٌ في إفادة الاستغراق والشّمول في ثبوتِ الحكم، فقوله: ﴿وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾ نَفَى العقلَ كلّه، واستثنى عقلَ العالمين، كأنّه لا عقلَ إلّا لأهل العلم، والتّركيبُ أفادَ قصرَ الصّفةِ على الموصوف، أي صفة العقل والإدراك على الموصوفينَ بالعِلم، ونكتةُ مجيءِ القصرِ من طريق النفي والاستثناء؛ هو توقّعُ إنكارِ ذلك الحكم والتّردّدِ فيه من المخاطبين، أوْ لتنزيلِ المخاطبينَ منزلةَ المنكِر الذي قد يَنسى أوْ يَقْبَلُ التّشكيكَ في ثبوت ذلك[2].

إفادةُ الاختصاص والحصر ودلالةٌ على العمومِ والشّمول والتّأكيدِ

معنى (أل) المعرِّفة:

(أل) في: ﴿ٱلْعَٰلِمُونَ﴾ هي الموصولةُ الدّالّةُ على الكمال في

العِلمُ صفةُ كمال، والتّحقّقُ به كمالٌ في الصِّفَة

(1) فاضل السّامرّائيّ، معاني النَّحو: 4/ 192.
(2) فاضل السّامرّائيّ، معاني النَّحو: 2/ 249، 250.

الصّفة، كأنّه قيل: لا يعقِل الأمثالَ إلّا الَّذين يعلمونَ العلمَ الرّاسخ، وهو عِلمُ الهُدى واليقين[1]، والتّعبيرُ باسمِ الفاعل: ﴿ٱلۡعَٰلِمُونَ﴾؛ للدّلالة على تجذّر صفةِ العِلم في ذواتهم وتحقّقِهم بها، وفيه إشارةٌ إلى مدحِهم بالعِلم، ويلزمُ عنه أمران: الأوّل فضلُ العِلم والتّنويهِ بمنزلته، والثّاني التّعريضُ بالجاهلينَ، والتّنويهُ إلى عدم انتفاعِهم وعدمِ أهليّتهم للفهْم عن اللّه في خطابِه بالأمثال[2].

نكتةُ قَصْرِ العَقل على أولي العلْم دونَ العكس:

كلّ عالمٍ عاقلٌ، وليس كلّ عاقلٍ عالماً

لم يقلْ في السّياق الكريم: (وما يعلمُها إلّا العاقلون)، بقصْر العلْم على المّتصفينَ بالعقل، بل قصرَ العقلَ على المّتصفين بالعِلم، فقال: ﴿وَمَا يَعۡقِلُهَآ إِلَّا ٱلۡعَٰلِمُونَ﴾؛ لأنّ العلمَ أخصّ من العقل، فكلّ عالمٍ عاقلٌ، وليس كلّ عاقلٍ عالمًا، وأرادَ تخصيصَ الأمثال بمخصوصيّةِ المُدركين لها والمنتفعينَ بها، ولا يخفى ما فيه من تعظيمِ شأنِ الأمثال، وأنّها لأجْل كونها قليلةً عزيزةً في الكلام، اصطفى لها القليلينَ العزيزينَ في النّاس، ونلحظُ أنّ تخصيصَ إدراكِ حِكمة الأمثال بالعالمينَ دونَ المؤمنين؛ إذ لا يلزمُ من العلْم بالأمثالِ ومَغزاها الإيمانُ، فقد يُدْرِكُ حكمةَ المثلِ وأبعادَه أهلُ العلم لكنّهم لا يوفّقونَ للإيمان.

(1) البِقاعيّ، نَظْمُ الدُّرَر: 14/ 445.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 20/ 256.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثاني والأربعون،
سورة العنكبوت من الآية 04 إلى سورة الرّوم الآية 07
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثاني والأربعون، سورة العنكبوت من الآية 04 إلى سورة الرّوم الآية 07
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 42 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-93-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 42 : المجلد الثاني والأربعون، سورة العنكبوت من الآية 04 إلى سورة الرّوم الآية 07.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-93-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-2154237 بتاريخ 2024/12/25م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»